

سلسلةُ :

الطَّرِيقِ الْمُخْتَصَرِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ [٧]

مختصر

عقيدة أهل السنة والجماعة

تعليقٌ مختصرٌ على وصيةِ

الإمامِ سُحنونِ لابنِ القصارِ

إعداد وتعليق فضيلة الشيخ

سعد يوسف محمود أبو عزيز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله وكفى ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى .

وبعد :

فهذه هي الرسالة السابعة في سلسلة : " الطريق المختصر إلى دار السلام " سميتها : " مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة " .
وهي عبارةٌ عن تعليقٍ مُختَصِرٍ لوصيةِ " جامعة " جاءت على لسان الإمام الكبير سُحنون - رحمه الله تعالى - أثناء عيادته للإمام ابن القَصَّار - رحمه الله تعالى - في مرضه ، لما رأى خوفَهُ من الموتِ والقدومِ على الله تعالى .

وهذه الوصيةُ - وإن كانت موجَّهةً إلى شخصِ ابنِ القَصَّار - فإنها موجَّهة من بابِ أولى لجميع المسلمين - رجالاً ونساءً ، شباباً وشيوخاً - ؛ لما يترتبُ على معرفتها ، واعتقادِ ما فيها ،

والقيام بما جاء فيها ؛ النجاةُ في الدنيا - من الفتنة - ، وفي الآخرة
من عذاب النار - .

هذا ، وتُعدّ هذه الرسالة تَمِّمَةً لرسالة : " تقريب العقيدة
الصحيحة في ضوء : رسالة : " أصول السُّنَّةِ " للإمام أحمد " ؛
وهي الرسالة " الثانية " في هذه السلسلة .
واللهُ الموفقُ لما يُحبُّ ويرضى .

كتبه : سعد يوسف محمود أبو عزيز

التعريف بالإمام سُحنون - صاحب الوصية - :

قال الإمام الذهبيّ - رحمه الله - في " سير أعلام النبلاء " (١٢/٦٣ - ٦٩) - في ترجمته للإمام سحنون - :

" الإمام ، العلامة ، فقيهُ المغرب ، أبو سعيد عبد السلام بن حبيب بن حسان التّوّخيّ ، الحِمصيّ الأصل ، المغربيّ القيروانيّ المالكيّ ، قاضي القيروان ، وصاحب : المَدَوْنَة " ؛ ويلقَّب بـ " سُحْنُون " .

ارْتَحَلَ ، وَحَجَّ ، ولم يتوسَّع في الحديث كما توسَّع في الفروع .
روى عن ابن عجلان الأندلسيّ ، قال : " ما بورك لأحدٍ بعد النبيّ ﷺ في أصحابه ما بُورك لِسُحْنُون في أصحابِهِ ، فإنهم كانوا في كلِّ بلدٍ أئمّة .

وَسُئِل سُحْنُون : أَيَسَعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقُول : لَا أَدْرِي فِيمَا يَدْرِي ؟ قَالَ : " أَمَا مَا فِيهِ كِتَابٌ أَوْ سُنَّةٌ ثَابِتَةٌ فَلَا ، وَأَمَا مَا كَانَ مِنْ هَذَا الرَّأْيِ ، فَإِنَّهُ يَسَعُهُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي أَمْصِيبٌ هُوَ أَمْ مُخْطِئٌ " .

ومن أقواله - رحمه الله - :

- قوله : " من لم يعمل بعلمه ، لم ينفعه علمه ، بل يضره " .
 - وقوله : " محب الدنيا أعمى ، لم ينور به العلم " .
 - وقوله : " أجر الأئمة على الفئيا ، أقلهم علماً " .
- توفي الإمام سُخْنُونُ في سنة أربعين ومائتين ، وله ثمانون سنة ؛ رحمه الله تعالى .

نص وصية الإمام سُخْنُونُ لابن القصار

قال الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى - في " سير أعلام النبلاء "

: (٦٩/١٢)

" عن يحيى بن عون ، قال : دخلتُ مع سُخْنُونِ على ابن القصار - وهو مريض - ، فقال : ما هذا القلق ؟ .

قال له : الموتُ والقدومُ على الله .

قال سُخْنُونُ : أَلَسْتُ مُصَدِّقاً بِالرُّسُلِ ، وَابْعَثِ ، وَالحِسَابِ ، وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَأَنْ أَفْضَلَ هَذِهِ الأُمَّةُ : أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عَمْرٌ ، وَالقُرْآنُ

كلام الله غير مخلوق ، وأن الله يُرى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وأنه على العرشِ استوى ، ولا تَخْرُجُ على الأئمةِ بالسَّيْفِ ، وإن جَارُوا ؟
قال : إي والله .

فقال : مُتْ إِذَا شِئْتَ ؛ مُتْ إِذَا شِئْتَ ؛ مُتْ إِذَا شِئْتَ " ا.هـ .

في هذه الوصية : عِدَّةُ فَوَائِدَ ؛ وَعَشْرُ جُمَلٍ من قواعد العقائد .

فمن الفوائد :

الفائدة الأولى : الخوفُ من سوءِ الخاتمةِ ؛ والموتِ على غير اعتقاد أهلِ السُّنَّةِ : فيها هو ابنُ القَصَّارِ ، على الرِّغمِ من شِدَّةِ تَعَبِّدِهِ ، وَعِلْمِهِ بِرَبِّهِ - تعالى - يخافُ عند الموت من سوء الخاتمة ؛ وهذه صفة المؤمن كما قال الحسن : " إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة ؛ وإن المنافق جمع إساءةً وأمناً " .

الفائدة الثانية : تذكيرُ العائد للمريض بما ينفعه ؛ كتذكيره بعقيدة أهلِ السُّنَّةِ والجماعة ؛ وكتابةِ الوصيةِ " الشرعية " ؛ وسعةِ رحمةِ الله تعالى ، وفضلِ كلمةِ التوحيد ؛ اتباعاً لِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ .

أما قواعد العقائد " العشر " ؛ التي جاءت في وصية الإمام سُخُون لابن القصار " ؛ فهذا ما سنتناوله في الصفحات التالية بالتعليق والبيان ؛ والله المستعان .

القاعدة الأولى : التصديق بالرُّسُل

التصديقُ بالرُّسُل : رُكْنٌ من أركان الإيمان ؛ ومَّا ينبغي معرفته : أن الكُفْرَ نبِيٌّ واحد ، كُفْرٌ بجميع الأنبياء ؛ قال تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠ ، ١٥١] .

وعليه : فَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَفَرَ بِنُبُوَّةِ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ؛ لَا يَدْخُلُ الْإِسْلَامَ أَصْلًا ؛ لِأَنَّهُ أَنْكَرَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ .

ولذلك ؛ لما حاول الدكتور سعد الدين الهلالي الترويج لعقيدة عدم اشتراط الإيمان بنبوة النبي محمد ﷺ للدخول في الإسلام ؛ تصدّى له علماء الأزهر ؛ وبينوا انحراف هذا الفهم عن الصراط المستقيم .

قال الدكتور محمود مهنا - عضو هيئة كبار العلماء - : " ما ساقه الدكتور سعد الدين الهلالي فكرٌ خربٌ ولا يُعتدُّ به ، وأضاف قائلاً : من يعتقد أن شهادة : " لا إله إلا الله " وحدها تكفي لدخول الإسلام فهو كافر ، والإسلام لا يكون صحيحاً إلا بنطق الشهادتين ، داعياً " الهلالي " إلى تقديم اعتذارٍ عما بدرَ منه " ا.هـ " (١) هذا ؛ وعدم الإيمان بنبوة النبي محمد ﷺ يترتب عليه : عدم الإيمان بالقرآن الكريم ؛ لأن القرآن أنزل عليه ﷺ ؛ وفي القرآن شهادة برسالة النبي ﷺ في مواضع عدّة ؛ منها :

(١) " جريدة الوطن " ، عدد : الثلاثاء ١٦ ديسمبر ٢٠١٤ ، السنة الثالثة ، العدد ٩٦١ ، الصفحة الرابعة .

قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [الفتح: ٢٩] ، فمن كَفَرَ برسالة النبي ﷺ كفر بالقرآن الكريم ؛ فكيف يدخل بعد ذلك في الإسلام ؟ !! .

هذا ؛ والتَّصَدِيقُ بالرُّسُل ؛ تَصَدِيقُ بِالْمُرْسَلِ - جَلَّ وَعَلَا - مِنْ بَابِ أَوْلَى .

ومن التصديق بنبوة النبي ﷺ : تصديق ما جاء عنه ، وثبت من أقواله ، وأفعاله ، وإقراره ؛ والقيام بما به أمر ؛ والانتهاؤ عما نهى عنه وَزَجَرَ ؛ وَالْأُتْعَارُضُ سُنَّتَهُ ﷺ بِالْأَرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ .

قال الشافعيُّ - رحمه الله - : " أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ مِنْ اسْتِبَانَتِ لَهُ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدْعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ " .

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - : " سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَلَاةُ الْأُمُورِ بَعْدَهُ سُنَنًا ، الْأَخْذُ بِهَا تَصَدِيقٌ لِكِتَابِ اللَّهِ ، وَاسْتِكْمَالٌ لِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَبْدِيلُهَا وَلَا تَغْيِيرُهَا ، وَلَا النَّظْرُ فِيهَا خَالَفَهَا . مَنْ اقْتَدَى بِهَا فَهُوَ مُهْتَدٍ ، وَمَنْ

اسْتَنْصَرَ فَهُوَ مَنْصُورٌ ، وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى ، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا " (١)

وقال ابنُ الجوزي - رحمه الله - : " إن لنا شريعةً ، لو رام أبو بكرٍ
الصديقُ رضي الله عنه أن يخرجَ عنها إلى العملِ برأيه ؛ لم يُقبَل منه " (٢)

وعلى ما تقدم : فكلُّ ما أخبر به النبيُّ صلى الله عليه وسلم وجاء عنه بسند صحيح ؛
كإخباره ؛ بعذابِ القبرِ ونعيمه ؛ وبخروجِ الموحِّدين - العُصاة -
من النارِ ؛ وبنزولِ المسيحِ عيسى بنِ مريمَ عليه السلام آخرَ الزمانِ ؛
وكذلك خروجِ المسيحِ الدجالِ ؛ وظهورِ المهديِّ ؛ وبحوضِ
القيامةِ ؛ وغيرِ ذلك مما نطقت به السُّنَّةُ المُطَهَّرةُ ؛ ثابتٌ وحقٌّ ؛ لا
يطعنُ فيه إلا مطعونٌ فيه ؛ مغمُوزٌ في اعتقاده .

(١) " إغاثة اللهفان " (١/١٥٩) . والمقصودُ بولاةِ الأمورِ في الأثرِ : الخلفاءُ الراشدون ؛
فتنبه .

(٢) " نلبس إبليس " (٤٨١) .

القاعدة الثانية : التصديق بالبعث بعد الموت

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في " التفسير " (٢٠٦/٣) :
البعث : هو المعاد ، وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة - يعني
: للحساب والجزاء " ا.هـ .

وَمُنْكَرُ الْبَعْثِ : كافرٌ ^(١) . قال تعالى : ﴿ رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧]

والآيات والأحاديث الدالة على البعث كثيرة ؛ وأما عن كيفية
البعث ؛ فقد روى مسلم في " صحيحه " (٤/٢٢٧٠-٢٢٧١) عن
أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : " ثم يُنزل الله من السماء ماءً ^(٢)
فينبتون كما ينبت البقل " ، قال : " وليس من الإنسان شيء إلا
يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ، ومنه يُرَكَّبُ الخلق
يَوْمَ القيامة " .

(١) انظر : " مختصر اللوامع " للسفّاريني (٣٨٧) .

(٢) يعني : إذا أراد الله إحياء الناس من قبورهم ؛ وهذا الماء يُسمى بماء الحياة .

قال البرديسيّ - رحمه الله - : " قال العلماء : وهو عَظْمٌ كاخْرَدَلَةٍ في العصعص ، وهو آخر سلسلة الظَّهْر عند الصُّلْب ، وهو من الإنسان بمنزلة مَغْرَزِ الذَّنْبِ مِنَ الدَّابَّةِ ، ولذا أُضِيفَ إليه " ا.هـ .

ما فائدة إبقاء هذا العَظْمِ ؟

أجاب ابنُ عَقِيلِ الحنبليّ - رحمه الله - قائلاً : " بأن الله - تعالى - في هذا سِرّاً لا نعلمه " ا.هـ .^(١)

المنكرون للبعث :

قسّم الشيخُ حافظ الحَكَمي - رحمه الله - منكري البعث إلى أربعة أصناف : جمهورُ الفلاسفة الدّهريّة والطبائعية ، وطائفة من الدّهريّة يقال لهم الدوريّة ، والدّهريّة من مُشركي العرب ، وملاحدة الجَهْمِيّة " ا.هـ .^(٢)

والدّهريّة : هم الذين يقولون : أَرْحَامٌ تَدْفَعُ ، وَأَرْضٌ تَبْلَعُ ، وما يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ .

(١) " تكملة شرح الصدور " للبرديسي (١١) .

(٢) " معارج القبول " (٢/١٩٩) .

والجَهْمِيَّة : هم أتباع الجَهْم بن صَفْوَان ؛ والجَهْم بن صَفْوَان :
أول من ظهر عنه القول بنفي الصِّفَات ، وأول من قال بخلق
كلام الله ، وإنكار رؤية الله في الآخرة . " مجموع الفتاوى "
(١٩٢/٤) .

مناجاة تكتب بماء الذهب :

كان عُمَرُ بْنُ دَرٍّ - رحمه الله تعالى - يقول في بعض مناجاته : "
اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ أَطَعْنَاكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ أَنْ تُطَاعَ فِيهِ : الْإِيمَانُ
بِكَ ، وَالْإِقْرَارُ بِكَ ، وَلَمْ نَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ أَنْ تُعْصَى
فِيهِ : الْكُفْرُ وَالْجَحْدُ بِكَ ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَنَا مَا بَيْنَهُمَا ، وَأَنْتَ قَلْتَ :
﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ [النحل: ٣٨]
، وَنَحْنُ نُقَسِّمُ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِنَا لِتَبْعَتِنَّ مِنْ يَمُوتُ ، أَفَتَرَكَ تَجْمَعُ
بَيْنَ الْقَسَمَيْنِ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ؟! " (١)

(١) " سير أعلام النبلاء " (٦ / ٣٨٧) .

القاعدة الثالثة : التصديق بالحساب

الحساب : تعريفُ الله - تعالى - الخلائقَ مَقَادِيرَ الْجَزَاءِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، وَتَذَكِيرُهُ إِيَّاهُمْ مَا قَدْ نَسَوْهُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦]

وفي الحديث القدسيّ : " يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفّيكم إياها ، فمن وجدَ خيراً فليحمدِ الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلو منَّ إلا نفسه " . رواه مسلم (٢٥٧٧) .

وعن أنسٍ ، قال : سألتُ رسولَ الله ﷺ أن يشفعَ لي يومَ القيامة ؛ فقال : " أنا فاعلٌ إن شاء الله " ، فقلتُ : فأين أطلبك ؟ قال : " أوّلُ ما تطلبني على الصراط " ، قلتُ : فإن لم ألقك على الصراط ؟ فقال : " فاطلبني عند الميزان " ، قلتُ : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فاطلبني عند الحوض ؛ فإنّي لا أُخطئُ ^(١) هذه

الثلاثَ مَوَاطِنَ " ^(٢)

(١) قال الناجي : " الباء غير مهموزة هنا ، أي : لا أُجاوز " .

(٢) صحيح : رواه الترمذي ، والبيهقي في " الشعب " ؛ وانظر : " صحيح الترغيب والترهيب " (٣٦٢٥) .

والميزان : حقيقة ؛ وليس كناية عن العدل كما تزعم المعتزلة ؛ فعن سلمان عن النبي ﷺ قال : " يُوضَعُ المِيزَانُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فلو وُزِنَ فِيهِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ لَوَسِعَتْ ، فَتَقُولُ المَلَأَكَةُ : يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي ، فَيَقُولُونَ : سُبْحَانَكَ ، مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ " (١)

أَوَّلُ الأُمَّةِ يُقْضَى بَيْنَهُمْ :

قال ابنُ كثيرٍ في " النهاية في الفتن والملاحم " (١١٧/٢) : " ويكون أولُ الأُمَّةِ يُقْضَى بَيْنَهُمْ : هذه الأُمَّة ؛ لشرف نبيها ﷺ كما أنهم أول من يدخل على الصَّراط ، وأول من يدخل الجنة " ا.هـ. هذا ، وأول ما يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ : في الدِّمَاءِ ؛ ففي الحديث : " أول ما يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ في الدِّمَاءِ " رواه البخاري ومسلم .

(١) صحيح لغيره : رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم ؛ ووافقه الذهبي ، وانظر : " صحيح الترغيب " (٣٦٢٦) .

وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله ؛ ففِي الحديث : " إنَّ أول ما يُحاسبُ به العبدُ يومَ القيامة من عمله : صَلَاتُهُ ؛ فَإِنْ صَلَحَتْ ، فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ : انظروا هل لعبدي من تطوعٍ ، فيكملُ بها ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على ذلك " .

ومن الشهودِ على الإنسان يوم القيامة : الألسنُ ، والأيدي ، والأرجلُ ، والجُلودُ : قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤]

وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ * وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت: ٢٠، ٢١]

موعظة :

قال قتادة - رحمه الله - : " ابن آدم ، والله إن عليك لشهوداً غير مُتَّهَمَةٍ من بَدَنِكَ ، فراقِبهم ، وأتقِ اللهَ في سِرِّكَ وعلانيتك ، فإنه لا يَخْفَى عليه خافية ، والظُّلْمَةُ عنده ضَوْءٌ ، والسِّرُّ عنده عَلاَنِيَةٌ ، فمن استطاع أن يموت وهو باللهِ حَسَنُ الظَّنِّ فَلْيَفْعَلْ ، ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ " (١)

المنكرون للحساب :

ذكر الإمام الأشعري - رحمه الله - : إن الغلاة من الروافض يُنكِرُونَ القيامة ، ويقولون : ليس قيامة ولا آخرة ، وإنما هي أرواح تتناسخ في الصُّور : فمن كان مُحْسِنًا ، جوزي بأن يُنْقَلَ رُوْحُهُ إلى جسدٍ لا يلحق فيه ضرر ولا ألم ، ومن كان مَسِيئًا ، جُوزِيَ بأن ينقل رُوْحُهُ إلى أجساد يلحق الروح في كونه فيها الضَّرَرُ والألم ، وليس شيءٌ غير ذلك ، وأن الدنيا لا تزال أبدًا هكذا !! (٢)

(١) تفسير ابن كثير " (٣/٣٧٧) .

(٢) مقالات الأشعري (١/١١٩) .

وقال البزدويُّ في " أصول الدين " (١٦١) : " إن المعتزلة
والرّوافض وعمامة المبتدعة تُنكِرُ الحساب " ا.هـ

والظّاهر : أن المعتزلة لا تنكره إنكاراً تامّاً ، وإنما يُنكرونها صِفَةً
الحساب ، لا وقوع الحساب بالكليّة ؛ فالحساب عندهم المقصودُ به :
خَلْقُ عِلْمٍ ضروريٍّ في نَفْسِ الإنسان ، يَعْرِفُ به مقدارَ ثوابه وعقابه
، ولهذا صَحَّ إطلاقُ وصفِ سريعِ الحسابِ على الله تعالى !! (١)

وهذا الذي اعتقدوه خلاف الحقّ والصّواب ؛ وفيه ردٌّ لصفةِ
الحسابِ الثابتةِ بالكتابِ وصحيحِ السُّنّةِ ؛ قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ
لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]

وأما قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾
[الرّحمن: ٣٩]

فهذا في حال دون حالٍ ، فإنهم لا يُسألون عن ذنوبهم بعد أن
يُؤمَرَ بهم إلى النّار ، وقد كانوا سُئِلوا قبل ذلك (٢) .

(١) يعني في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩] .

(٢) " تفسير ابن كثير " (٤٩٩/٧) .

وقال ابن عباس : لا يسألهم : هل عَلِمْتُمْ كذا وكذا ؟ لأنه أَعْلَمُ

بذلك منهم ، ولكن يقول : لم عَمِلْتُمْ كذا وكذا ؟ ^(١)

والناسُ باعتبار الحسابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أصناف :

الأول : من يدخلُ الجَنَّةَ بغيرِ حسابٍ ؛ وهم أهلُ التوحيد

الخالص الذين لا يَسْتَرْقُونَ ولا يَكْتُونُونَ ، وعلى رَبِّهِم يتوكلون ،

وهم سبعون ألفاً كما في الحديث الصحيح ^(٢) .

وورد مرفوعاً أن مع كلِّ واحدٍ أو رجلٍ سبعين ألفاً كما في

" مسند أحمد " (٢٨٠ / ٥) ^(٣) .

قال الإمام ابنُ كثيرٍ في " البداية والنهاية " (٦٢ / ٢) : " وهذا

يحتمل أن يكون مع كل واحدٍ من الألوْف ، ويحتمل أن يكون مع

كلِّ واحدٍ من الآحاد ، وهو أشْمَلُ وأكثر " ا.هـ .

الثاني : مَنْ يُحَاسِبُ حِسَابَ عَرَضٍ : وهؤلاء هم أولياءُ الله

المتقون ، تُعَرَّضُ أَعْمَالُهُمْ مُجَرَّدَ عَرَضٍ بلا نقاش .

(١) " تفسير ابن كثير " (٤٩٩ / ٧) .

(٢) رواه البخاري (٦٥٤١) ، ومسلم (٣٦٧) .

(٣) وصححه ابن كثيرٍ في " التفسير " (٩٥ / ٢) .

الثالث: من يُحاسبُ حِسَابَ مناقشةٍ : وهم أصحابُ الشَّمالِ ؛
يُحَاسِبُونَ حِسَاباً عسيراً ، وهؤلاء يأخذون صحائفهم بشاهمهم
وراءَ ظهورهم وأما دعوى أن العصاة من المؤمنين يأخذون
صحائفهم بشاهمهم أمامهم ، فقد قال الماورديُّ : إنه لا قائل بهذا
القول ، وأن الفاسق الذي مات على فسقه دون توبةٍ يأخذُ كِتَابَهُ
بيمينه .^(١)

القاعدةُ الرَّابِعةُ والخامسةُ : التصديقُ بِالْجَنَّةِ والنَّارِ

قال الإمام أبو عثمان الصَّابوني في " رسالة في اعتقاد السَّلف " (ص ٨١) :
" وَيَشْهَدُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ
، وَأَنَّهَا بَاقِيَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا ، وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا
أَبَدًا ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ، خُلِقُوا لَهَا ، لَا
يُخْرَجُونَ أَبَدًا " .^(٢) ا.هـ .

(١) " شرح اعتقاد أئمة الحديث " للإسماعيلي . شرح : حمد العثمان (٣٨٦) .

(٢) يعني : بخلاف عصاة الموحِّدين ؛ فإنهم يُخْرَجُونَ مِنْهَا بعد استيفاء العذاب ، أو
بشفاعة الشافعين ، أو برحمة أرحم الراحمين ؛ كما صحَّت بذلك الأحاديث .

ومما يدل على وجودهما الآن ؛ وأنها لا يَفْنَيَانِ :

قول النبي ﷺ حينما خَطَبَ عَقَبَ صَلَاةِ الْكُسُوفِ - : " عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ ، حتى لو تناولتُ منها قطعاً أخذته ، فَقَصُرَتْ يَدِي عنه ، ولو أخذته لأكلتُم منه ما بَقِيَتْ الدنيا ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ ، فرأيت فيها امرأةً من بني إسرائيل تُعَذِّبُ فِي هِرَّةٍ رُبَطْتَهَا ، فلم تُطْعِمَهَا ، ولم تَدَعَهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ " (١)

وقال ﷺ : " إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ ؛ وَصَارَ أَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ ، أَتَى بِالْمَوْتِ حَتَّى يُحْمَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُذْبَحُ ، ثُمَّ يِنَادِي مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ ، لَا مَوْتَ ، فَيَزِدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِحاً إِلَى فَرَحِهِمْ ، وَيَزِدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلَى حُزْنِهِمْ " (٢)

وفي رواية : " يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبُشُّ أَمْلَحٍ " (٣) .

(١) رواه البخاري (١٨٦/١) ، ومسلم (٦٢٦) ، وغيرهما . خشاش الأرض : حشراتهما .

(٢) رواه البخاري (٢٠٠/٤) ، مسلم (٢١٨٩/٤) .

(٣) رواه البخاري (٢٥٨/٣) ، ومسلم (٢١٨٨/٤) ؛ والأملح : فيه بياض وسواد .

المخالفون لعقيدة أهل السنة في هذه المسألة :

قال ابنُ أبي العزِّ الحنفي في " شرح الطحاوية " (٣٥٤) : " اتَّفَقَ أهلُ السُّنَّةِ على أن الجنةَ والنَّارَ مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزلْ على ذلك أهلُ السُّنَّةِ ، حتى نَبَغَتْ نابغةٌ من المُعْتَزِلَةِ والقَدْرِيَّةِ ، فَأَنكَرَتْ ذلك ، وقالت : بل يُنشئها اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَحَمَلَهُمْ على ذلك : أَصْلُهُمُ الفاسد الذي وَضَعُوا به شريعةً لما يفعله اللهُ ، وأَنَّهُ ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خَلْقِهِمْ في أفعالهم ، فهم مُشَبَّهَةٌ في الأفعال ، وَدَخَلَ التَّجَهُُّمُ فيهم ، فصاروا مع ذلك مُعْطَلَّةً ، وقالوا : خَلَقَ الجَنَّةَ قبل الجَزَاءِ عَبَثٌ ، لأنها تصيرُ مُعْطَلَّةً مُدَدًّا مُتَطَاوِلَةً !! ؛ فردّوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للربِّ تعالى ، وحرّفوا النصوص عن مواضعها ، وضلّوا وَبَدَّعُوا مَنْ خَالَفَ شريعتهم " ا.هـ .

عقيدة ابن عربي في النار:

من عقائد محي الدين بن عربي الطائي الفاسدة: زعمه بأن عذاب النار للكفار بالنار ينقلب لهم لذةً ونعيماً مقيماً!!

قال في "فصوص الحکم" (١٧٢/١)، و"الفتوحات المكيّة" (٤٠٣/٤): "إن الكفار وإن لم يخرجوا من النار، لكن في عاقبة الأمر يصير العذاب عذاباً لهم بحيث يتلذذون بالنار والجحيم والماء الحميم كما يتلذذ أهل الجنة بالنعيم المقيم!!" ا.هـ.

وقال في "الفصوص" - أيضاً - (٩٤٨): سُمِّيَ عذابُ النار عذاباً: من عُذوبَةِ طَعْمِهِ!!، وذكر في ذلك شعراً.

رد العلامة ابن المقرئ عليه:

قال العلامة ابن المقرئ - رحمه الله - : "أبصَحُ صدورُ هذه المقالات من قلبِ سليم، أو يتجرأ لسانُ مَنْ هُديَ إلى صراطِ مستقيم من الرَّدِّ الصَّريحِ لكتابِ اللهِ، وابتغاءِ العوجِ في دينِ اللهِ، ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى

عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿[فاطر: ٣٦، ٣٧] . أتراهم اضطرخوا بعدوبة العذاب ولذاته وسألوا الخروج منه لما يتقلبون فيه من نعمته - وأي عذابٍ أعظمٍ من عذاب الموت مَنِيَّةٌ صَاحِبِهِ ومصيره يراها أعظمَ مَطَالِبِهِ ، بئس والله النعيم ، وما أحق من يُسَمِّيهِ نَعِيمًا أَنْ يَسْعَدَ بِدخوله ، وَيُجَاوِرَهُ فِيهِ مِنْ صَدَقَةٍ فِي قِيلِهِ ، فالمرءُ مع من أحب ، نعوذُ بالله من عذابه ، والالتفاتِ إلى باطل القولِ مِنْ صَوَابِهِ .

فيا أخي ! أنشدك الله ، هل يُصَدِّقُ ابْنَ عَرَبِيٍّ إِنْسَانٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فِيمَا يَقُولُ مِنْ مُعَارَضَةِ كَلَامِ الرَّحْمَنِ ؟ أَمَا يَسْتَحْيِي مِنْ اللَّهِ رَجُلٌ يُسَمِّيهِ " مُحْيِي الدِّينِ " وهو يفعل بالدِّينِ هذه الأفاعيل ، ويقتحمُ بِالْجَاهِلِينَ هذه الأباطيل ، يدخل بالمغرورين

من الكُفْرِ في كلِّ مدخل ، وَكُلَّمَا أَخَذَهُمْ فِي مَسَلِكٍ مِنْهُ سَلَكَ بِهِمْ فِي مَأْخِذٍ غَيْرِ الْأَوَّلِ " ا.هـ (١) .

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله - متهكِّماً بقول ابن عربي هذا :
" فأبشروا يا أهل النار ، بالنَّعيمِ الذي بَشَّرَكم بِهِ هذا الويُّ ، ولا تُرَاعُوا من تخويفات الله ورسوله ، فإنَّ الأمرَ بالعكس على لسانِ ابن عربي سيِّدكم وقائدكم ، اللَّهُمَّ أَسْكِنُهُ هذه الدَّارَ لِيَنال ما وَصَفَهُ من نعيمها ، فإنه حَقِيقٌ بِهِ " ا.هـ (٢)

القاعدة السادسة :

الاعتقاد بأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر

قال الشافعي - رحمه الله - : " أفضل النَّاسِ بعد رسول الله ﷺ :
أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليٌّ ؓ " (٣) .

(١) " القول المنبئ " (١٤٠/ب - ٤١/أ) أتسترتبتي .

(٢) " الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني " (١٠١٢/٢) .

(٣) أخرجه البيهقي في " مناقب الشافعي " (٤٣٣/١) بسند صحيح .

وقال الشَّعْبِيُّ - رحمه الله - : " أدركتُ خمسَ مئة صحابيٍّ أو أكثر يقولون : أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ " ا.هـ. ^(١) .

وقال الذهبيُّ - رحمه الله - في المُفَاضَلَةِ بين الصحابة - : " نقطع بأن بَعْضَهُم أَفْضَلُ من بعض ، ونقطع بأن أبا بكر وعمر أفضل الأُمَّة ، ثم تَمَّتْ العَشْرَةُ المشهود لهم بالجنة ، وحزمة وجعفر ومعاذ وزيد ، وأمّهات المؤمنين ، وبنات نبيِّنا ﷺ وأهل بدر مع كونهم على مراتب ، ثم الأفضل بعدهم مثل أبي الدرداء وسلمان الفارسي وابنِ عمر وسائرِ أهلِ بيعة الرّضوان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بنصِّ آيةِ سورة الفتح ، ثم عموم المهاجرين والأنصار كخالد بن الوليد والعبّاس وعبد الله بن عمرو ، وهذه الحُلْبَةُ ، ثم سائر مَنْ صَحِبَ رسولَ الله ﷺ وجاهد معه ، أو حجَّ مع ، أو سمع منه ، رضي الله عنهم أجمعين ، وعن جميع صواحب رسول الله ﷺ المهاجرات والمدنيات وأمّ الفضل وأم هانئ الهاشمية ، وسائر الصحابيات " ا.هـ. ^(٢) .

(١) " سير أعلام النبلاء " (٤ / ٣٠١) .

(٢) " سير أعلام النبلاء " (١٠ / ٩٣) .

المخالفون لعقيدة أهل السنة في مسألة الصحابة :

الخلاصة : أن الصحابة ^(١) مُجْمَعُونَ على أفضلية أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليّ ، وشَرُّ الناس في هذا هم الرَّافِضَةُ الإمامية ^(٢) الذين يعتقدون أن عليّاً هو الإمام الحق بعد النبي ﷺ ، ثم يأتي بعدهم في الشَّرِّ : الزيدية الذين يُفَضِّلون عليّاً على أبي بكر وعمر ، ولكن يعتقدون إمامتها وعدالتها ويتولّونها ^(٣) .

وقال الشوكاني - رحمه الله - في " نثر الجواهر على حديث أبي ذر " (١٠٧) : " فإنه لم يعادهم - يعني : الصحابة - ويتعرّض لأعراضهم المصونة إلا أخبث الطوائف المنتسبة إلى الإسلام ، وشَرُّ مَنْ على وَجْهِ الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ هذه المِلَّةِ ، وأقلُّ أهلها عقولاً ، وأحقر أهل الإسلام علوماً ، وأضعفهم حلوماً ، بل أصل دعوتهم لمكيدة الدّين ، ومخالفة شريعة المسلمين ، يَعْرِفُ ذلك من

(١) وَمَنْ بَعْدَهُمْ من أهل السنة والجماعة .

(٢) وتعتبر إيران - الآن - قلب الشيعة الرافضة .

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - في شأن الزيدية - : " ولكنهم هم المرقاة التي تَصْعَدُ بهم الرَّافِضَةُ ، فهم لهم باب " ١هـ " التسعينية " (١/ ٢٦٤) .

يَعْرِفُهُ ، يَجْهَلُهُ من يجهله ، والعَجَبُ كَلَّ العَجَبُ من علماء الإسلام وسلاطين هذا الدِّين كيف تركوهم على هذا المنكر البالغ في القبح إلى غايته ونهايته؟! " ١.هـ .

الهدف من وراء الطعن في الصحابة :

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في " أدب الطلب ، ومنتهى الأرب " (٧١-٧٢) : " ومعظم ما يقصده بهذا - يعني : الطاعن في الصحابة - هو الطعن على الشريعة وإبطائها ، لأن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين رووا للمسلمين علم الشريعة من الكتاب والسنة ، فإذا تم لهذا الزنديق باطناً ، الرافضي ظاهراً القَدْح في الصحابة ، وتكفيرهم ، والحكم عليهم بالردة ، بطلت الشريعة بأسرها ، لأن هؤلاء حَمَلَتْهَا الرَّاوون لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذا هو العلة الغائية لهم ، وجميع ما يتظاهرون به من التَّشْيِيعِ كَذِبٌ وزور ، وَمَنْ لَمْ يفهم هذا فهو حَقِيقٌ بأن يَتَّهَمَ نَفْسَهُ ، وَيَلُومَ تقصيره " ١.هـ .

وقال أبو زُرْعَةَ الرَّازِي - رحمه الله - : " إذا رأيتَ الرجلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا من أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنَّه زنديق ، وذلك أن

رسول الله ﷺ عندنا حقٌ ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحابُ رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا لِيُبْطِلُوا الكتابَ والسنةَ ، والجرحُ بهم أوْلَى وهم زنادقة " اهـ (١)

وبالجملة : لا يمكن لقلبٍ عمَرَهُ الإيمانُ أن يُبغِضَ أحداً من صحابة رسول الله ﷺ الذين هم بِطانتهُ واختارهم الله لِتُصْرِهِ دينه .

قال الميموني : سمعتُ أحمدَ - يعني : ابن حنبل - يقول : ما لهم ولمعاوية ؟ نسألُ الله العافية ، وقال لي : يا أبا الحسن ، إذا رأيت أحداً يذكر أصحابَ رسول الله ﷺ بسوءٍ فاتممه على الإسلام . (٢)

وَسئل أبو عبد الرحمن النَّسائيُّ عن معاويةَ بنِ أبي سفيان - صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ ، فقال : " إنما الإسلامُ كَدَّارٍ لها باب ؛ فبابُ الإسلامِ : الصحابةُ فَمَنْ آذَى الصَّحَابَةَ إنما أراد الإسلامَ ، كمن نَقَرَ البابَ يُريدُ دخولَ الدَّارِ ، قال : فمن أرادَ معاويةَ ، فإنما أراد الصَّحَابَةَ " (٣) .

(١) رواه الخطيب في " الكفاية " (٦٧) .

(٢) " الصارم المسلول " (٥٦٨) .

(٣) " تهذيب الكمال " (١ / ٣٣٩) .

القاعدة السابعة : الاعتقاد بأن القرآن كلام الله غير مخلوق

قول السلف الصالح ، وأهل السنة والجماعة قاطبة - لا خلاف بينهم - أن القرآن كلام الله - تعالى - على الحقيقة ليس بمخلوق ، وأنه صفة من صفاته .

ومن أدلتهم وأقوالهم :

قول النبي ﷺ : " أول ما خلق الله : القلم ... " الحديث .

وقد استدلل عباس النبرسي - وهو من أئمة المسلمين - بهذا الحديث على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، قال الإمام أحمد : هذا الشيخ دكنا على شيء لم نطقن له ، قوله : " أول ما خلق الله : القلم " ، والكلام قبل القلم .^(١)

وعن سفيان بن عيينة ، قال : قال عمرو بن دينار : " أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق ، وما سواه مخلوق ، والقرآن كلام الله ، منه خرج ، وإليه

يُعود"^(٢)

(١) أخرجه الأجرئي في " الشريعة " (١٧٩) بسند صحيح .

(٢) أخرجه الدارمي في " الرد على الجهمية " (١٠٠) ، والبيهقي في " الأسماء والصفات

" (٢٤٥) بسند صحيح .

وقال عبد الله بن إدريس : " من زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أن الله مخلوق ، يقول الله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فالله لا يكون مخلوقاً ، والرحمن لا يكون مخلوقاً ، وهذا أصلُ الزنادقة ، من قال هذا فعليه لعنةُ الله لا تُجَالِسُوهم ، ولا تُنَاكِحُوهم " (١) وللمزيد : انظر أقوال أئمة الإسلام كالشافعي وأحمد ومالك ؛ في كتاب : " الشريعة " للأجري (١/٢٢٠-٢٤٠) .

القائلون بخلق القرآن :

المخالفون لأهل السُّنَّة في هذه المسألة :
مذهبُ أهلِ السُّنَّة والجماعة : أن الله - تعالى - تكلم بالقرآن ؛ بحروفه ومعانيه ، وليس كلام الله الحروف دون المعاني ، كما هو مذهبُ المعتزلة والجهمية ؛ لأنهم يقولون : إن الكلام ليس معنىً يَقُومُ بذات الله ، بل هو شيءٌ من مخلوقاته كالسَّماء والأرضِ والناقةِ والبيتِ وما أشبه ذلك ؛ فليس معنىً قائماً في نفسه ؛

(١) أخرجه البخاري في " خلق أفعال العباد " (٥) ، وسنده صحيح .

يقولون : فكلامُ الله حروفٌ خَلَقَهَا اللهُ - تعالى - ، وَسَمَّاهَا كَلَاماً له . يقولون : كما خَلَقَ النَّاقَةَ ، وَسَمَّاهَا نَاقَةَ اللهِ ، وكما خَلَقَ الْبَيْتَ ، وَسَمَّاهُ بَيْتَ اللهِ ؛ ولهذا كان الكلامُ عند الجهمية والمعتزلة هو الحروف ؛ لأن كَلامَ اللهِ عندهم عبارةٌ عن حروفٍ وأصواتٍ خَلَقَهَا اللهُ ﷻ وَنَسَبَهَا إِلَيْهِ تَشْرِيفاً وَتَعْظِماً .

ليس كَلامُ اللهِ الحروفَ دون المعاني كما قالت الجهميَّةُ والمعتزلةُ ، ولا المَعَانِي دون الحروف كما هو مذهب الكُلَّابِيَّةِ والأشعرية ، فكلام الله عندهم مَعْنَى في نفسه ، ثم خَلَقَ أَصْوَاتاً وَحُرُوفاً تَدُلُّ على هذا المعنى ، إمَّا عبارةً كما تقولُ الأشعرية ، وإمَّا حِكَايَةً كما تقولُ الكُلَّابِيَّةُ (١) (٢)

القاعدةُ الثَّامِنَةُ : التصديقُ بأن الله - تعالى - يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) فلا يجوزُ إطلاقُ القولِ بأن القرآنَ حكايةٌ عن كلامِ الله ؛ لأن الحكايةَ : المِثْلَةَ .

(٢) " شرح أصول السنة " للإمام أحمد ؛ بشرح الدكتور محمد بن سعيد رسلان

رؤيةُ الله - تعالى - في الآخرة : " من أشرفِ مسائلِ أصولِ الدين ، وأجلِّها ، وهي الغايةُ التي شَمَّرَ إليها المشمِّرون ، وتنافسَ فيها المتنافسون ، وَحَرَمَهَا الذين عن ربِّهم مَحْجُوبون ، وعن بابه مَرْدُودون " (١)

ومن الأدلة على رؤية المؤمنين لربِّهم في الآخرة :

(١) قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ ، ٢٣]

وقد أَطْبَقَ علماءُ السُّنَّةِ على أن معنى الآية : هو إثباتُ النَّظَرِ إلى وَجْهِ الله تعالى حقيقة (٢) ؛ يعني : دون إحاطةٍ ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

(٢) وعن صُهَيْبٍ ، قال : قرأ رسولُ الله ﷺ : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] ، وقال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة ،

(١) " شرح العقيدة الطحاوية " لابن أبي العز الحنفي (٢٠٤) .

(٢) انظر - على سبيل المثال - : تفسير ابن جرير (١٩٢/٢٠) .

وأهل النَّارِ النَّارِ ، نادى منادٍ : يا أهلَ الجَنَّةِ ، إن لكم عند الله موعداً ويريد أن يُنجزَ كُموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يُثقل موازيننا ، وَيَبَيِّضُ وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، وزحزحنا عن النار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون الله ؛ فما أعطاهم شيئاً أحبَّ إليهم من النَّظَرِ إليه ، وهي الزِّيادة " (١) .

هذا ، والأحاديث الواردة في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة صحيحة متواترة . (٢)

فائدة :

رؤيا النبي ﷺ لربه ليلة المعراج ؛ رؤية قلبية ؛ لقوله ﷺ لَمَّا سُئِلَ : هل رأيت ربك ؟ . فقال : " نورٌ أتى أراه " .

ومعناه : حجابُه النور ؛ فكيف أراه ؟ ويدلُّ عليه أن في بعض ألفاظِ الصَّحيح : " رأيتُ نوراً " (٣) .

(١) رواه مسلم (٤٢٦/١) ، والترمذي (٢٨٦/٥) .

(٢) انظر : " تفسير ابن كثير " (٤٨٦/٤) . تنبيه وهذه الرؤية عامّة للرجال والنساء .

انظر : " البداية والنهاية " لابن كثير (٣٦٢/٢٠) .

(٣) انظر : " شرح النووي لصحيح مسلم " (٤٢٢/١) .

المنكرون لرؤية الله - تعالى - في الآخرة :

قال ابن القيم - رحمه الله - في " حادي الأرواح " (٢٤٠) :
وأنكرها - يعني : رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة - أهل البدع
المارقون ؛ والجهمية المتهوكون ؛ والفرعونية المعطلون ، والباطنة
الذين هم من جميع الأديان مُنْسَلِحُونَ ؛ والرافضة الذين هم
بحبائل الشيطان مُتَمَسِّكون " ١.هـ

وبالجملة : فقد نقل ابن القيم في " حادي الأرواح " (٢٤٠) عن
إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة : " أن المؤمنين لم يختلفوا
أن المؤمنين يَرَوْنَ خَالِقَهُمْ يَوْمَ الْمَعَادِ ، ومن أنكر ذلك فليس
بمؤمن عند المؤمنين " ١.هـ

القاعدة التاسعة : الاعتقاد بأن الله - تعالى - على العرش استوى

استواء الله على عرشه : صفة من صفاته الفعلية ؛ فلا يُقَالُ فيها :
لمْ ؟ ، ولا يُقَالُ فيها : كيف ؟ ، بل يُجْرَى في إثباتها جَرَى السَّلَفِ
في إثبات الصفات ؛ تُثَبِّتُ الْمَعْنَى ، وَنُقُوْضُ الْكَيْفِيَّةُ . (١)

(١) وهكذا في كل صفات الله تعالى ؛ إثبات بلا تشبيه ، ونفي بلا تعطيل .

قال ابنُ أبي العزِّ الحنفيِّ في " شرح الطحاوية " (٢٥١) : " وكون العَالِي فَوْقَ السَّافِلِ ، لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي ، محيطاً به ، حاملاً له ، ولا أن يكون الأعلى مُفْتَقِراً إليه ، فانظُرْ إلى السَّمَاءِ كيف هي فوق الأرض ، وليست مفتقرة إليها ، فالرَّبُّ - تعالى - أعظم شأنًا ، وَأَجَلُّ من أن يلزم من علوّه ذلك ، بل لوازم علوّه من خصائصه ، وهي حَمْلُهُ بقدرته للسافل ، وفقر السافلِ ، وغناه هو - سبحانه - عن السافل ، وإحاطته بِحَمْلِهِ به ، فهو فوق العرش مع حَمْلِهِ بقدرته للعرش وَحَمَلْتِهِ ، وَغِنَاهُ عن العرش ، وفقر العرش إليه ، وإحاطته بالعرش ، وعدم إحاطة العرش به ، وحصره للعرش ، وعدم حصر العرش له ، وهذه اللوازم متتفية عن المخلوق " ١.هـ .

أَمَّا عِلْمُهُ - سبحانه - : فَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى

مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ [المجادلة: ٧]

فهذه الآية ؛ وأمثالها ، فسرها السلف الصالح على أن الله - تعالى
- مُسْتَوٍ على عرشه فوق السماء السابعة ، وهو مع خلقه بعلمه ،
قد أحاط بعلمه كل شيء ؛ وأما الجهمية الضلال ، فقالوا : إن الله
- تعالى - في كل مكان ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً .^(١)

القاعدة العاشرة : أَلَا نَخْرُجُ عَلَى الْأَنْمَةِ بِالسَّيْفِ

من أصول أهل السنة : وجوب الطاعة لولي الأمر الذي انعقدت
له الإمارة والبيعة^(٢) ، وإن تولى على المسلمين بالقوة ، وإن كان
جائراً أو ظالماً ، وَيَحْرُمُ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ ؛ كما تدل عليه السنة المطهرة .

(١) " شرح السنة " للبرهاري (٩٣-٩٤) ؛ تعليق الشيخ عمرو سليم .

(٢) قال العلامة صديق حسن خان في " إكليل الكرامة في بيان مقاصد الإمامة " (٢٦) :
" ليس من شرط ثبوت الإمامة أن يبايعه كل من يصلح للمبايعة ، ولا من شرط الطاعة
على الرجل أن يكون من مجتمعة المبايعين ، فإن هذا الاشتراط في الأمرين مردودٌ بإجماع
المسلمين ، أولهم وآخرهم ، سابقهم ولاحقهم " ا.هـ .

هذا ، وطاعةٌ وِليّ الأمر مشروطة بأن تكون في طاعة الله تعالى ؛
ففي الحديث : " على المرء المسلم : السمعُ والطاعةُ ، فيما أَحَبَّ
وَكَرِهَ ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَلَا سَمْعَ وَلَا
طاعة " (١) .

وقال ﷺ : " مَنْ وُيِّ عَلَيْهِ وَالٍ ، فَرَأَهُ يَأْتِي شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ،
فَلْيُكْرِهْهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدَهُ مِنْ طَاعَةٍ " (٢) .

" والأئمة الذين أمر النبي ﷺ بطاعتهم : هم الأئمة الموجودون
المعلومون ، الذين لهم سلطانٌ وقدرة . وأما من نَزَلَ نَفْسَهُ مِنْزَلَةً
وِليّ الأمر الذي له القدرة والسلطان على سياسة الناس ، فدعا
جماعةً للسمع والطاعة له ، أو أعطته تلك الجماعةُ بيعةً تَسْمَعُ
وتطيعُ له بِمُوجِبِهَا ، أو دعا الناس إلى أن يحتكموا إليه في ردِّ
الحقوق إلى أهلها تحت أيِّ مسمًى كان ، ونحو ذلك ، ووليُّ الأمر

(١) رواه مسلم (٣/١٤٦٨) ، والترمذي (١٧٠٧) ، وغيرهما .

(٢) رواه مسلم (٣/١٤٨٢) .

قائمٌ ظاهر^(١) ، فقد حادَّ الله ورسوله ، وخالف مقتضى الشريعة ، وخرج من الجماعة ، فلا تجب طاعته ، بل تحرم ، ولا يجوز الترافع إليه ، ولا يُتَّفَذُّ له حُكْمٌ ، ومن ناصره أو آزره بما لئ أو بكلمة ، أو أقلَّ من ذلك ، فقد أعان على هدم الإسلام ، وسعى في الأرض فساداً ، والله لا يحب المفسدين^(٢) .

وقال البربهاريُّ - رحمه الله - في " شرح السنَّة " : " ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خَارِجِيٌّ ، وقد شق عصا المسلمين ، وخالف الآثار ، وميتته ميتة جاهلية ، ولا يحلُّ قتال السلطان ، ولا الخروج عليه ، وإن جار .. وليس في السنَّة قتال السلطان ، فإن فيه فساد الدنيا والآخرة " اهـ .

هذا ؛ وأصل الخروج بالسيف : الخروُجُ بالكلمة ؛ لأن القولَ مَطِيئَةُ الفعل .

(١) كما هو حال الجماعات المنتشرة على الساحة اليوم ؛ كجماعة الإخوان المسلمين وأخواتها .

(٢) " معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة " لعبد السلام بن برجس (٣٨) .

وَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ :

عن هلال بن أبي حميد ، قال : سمعتُ عبد الله بن عُكَيْمٍ ^(١) يقول :
 " لَا أُعِينُ عَلَى دَمِ خَلِيفَةٍ أَبَدًا بَعْدَ عُثْمَانَ " ، فقليل له : يَا أَبَا مَعْبُدٍ
 ، أَوْ أَعْنَتَ عَلَى دَمِهِ ؟ !

قال : " إِنِّي أَعَدُّ ذِكْرَ مَسَاوِيهِ عَوْنًا عَلَى دَمِهِ " ^(٢) .

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : " وما يُوجَدُ في بعض
 كُتُبِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى الْإِمَامِ هُوَ الْخُرُوجُ بِالسَّيْفِ ،
 فَمَرَادُهُمْ بِذَلِكَ الْخُرُوجَ النَّهَائِيَّ الْأَكْبَرُ ، كَمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ
 الزَّنا يَكُونُ بِالْعَيْنِ ، وَيَكُونُ بِالْأُذُنِ ، وَيَكُونُ بِالْيَدِ ، وَيَكُونُ
 بِالرَّجْلِ ؛ لَكِنَّ الزَّنا الْأَعْظَمَ هُوَ زَنا الْحَقِيقَةِ ، هُوَ زَنا الْفَرْجِ ؛
 وَلِهَذَا قَالَ : " الْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ " ^(٣) .

(١) تابعيٌّ كبير .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في " المصنّف " (٣٢٠٤٣) ، وغيره ؛ وإسناده صحيح .

(٣) انظر الحديث بنصه في " صحيح البخاري " (٦٢٤٣) ، ومسلم (٢٦٥٧) .

ونحن نعلم علم اليقين بمقتضى طبيعة الحال أنه لا يمكنُ خروجُ بالسَّيفِ إلا وقد سَبَقَهُ خروجُ باللسان والقول . الناس لا يمكنُ أن يأخذوا سيوفهم يحاربون الإمام بدون شيء يثيرهم ، وهو الكلام ، فيكون الخروج على الأئمة بالكلام خروجاً حقيقة ، دَلَّت عليه السُّنَّةُ ، ودَلَّ عليه الواقع " ا.هـ (١)

هذا ؛ والسمع والطاعة لولاية الأمور - وإن جاروا - من أسباب الشُّربِ من حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ ودخول الجنة ؛ ففي الحديث : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصى أميري فقد عصاني " (٢)

وطاعة النَّبِيِّ ﷺ من أسباب دخول الجنة لقوله ﷺ : " من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى " (٣)

(١) " تعليلات ابن عثيمين على رفع الأساطين " للشوكاني (٦٥-٦٦) باختصار .

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٠) ، وغيره .

(٣) رواه البخاري (٢٩٥٧) ، ومسلم (١٨٣٥) .

وبالجملة: " فالفسق والمعاصي لا تُوجب الخروج على ولاة الأمور ، خلافاً للخوارج والمعتزلة ، الذين يرون الخروج عليهم إن كان عندهم معاصٍ ، وحَصَلَ منهم فسق ، فيقولون : هذا هو الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو عند المعتزلة الخروج على ولاة أمور المسلمين " ^(١).

وقال الآجريُّ في " الشريعة " (٤١/١) : " والخوارج همُّ الشُّرأةُ الأنجاسُ الأرجاسُ ، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديماً وحديثاً ، وَيَخْرُجون على الأئمةِ والأمرءِ ، وَيَسْتَحِلُّون قَتْلَ المسلمين " اهـ.

تنبيه: للمزيد : راجع رسالتي : " نهاية الإرهاب " ؛ و " داعش .

وأصل الحكاية " ؛ فقد بسطت فيهما القول عن خوارج عصرنا .

هذا ؛ وقد أمر النبي ﷺ بقتال الخوارج في أكثر من حديث ؛ منها

قوله ﷺ : " فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ^(٢) ، فإن في قتلهم أجرٌ لمن

قتلهم يومَ القيامة " رواه البخاري (٣٦١) .

(١) " شرح أصول السنة " للإمام أحمد . شرح فضيلة الدكتور محمد بن سعيد رسلان (٢/٨١٠) .

(٢) قتلهم لا يكون إلا تحت راية السلطان ؛ فتنبه .

ولكن ينبغي أن نعلم من لا يعلم أن هناك فرقاً بين محاربة " الإرهاب " ؛ وبين محاربة الإسلام نفسه ؛ فالخوارج لا يمثلون الإسلام أصلاً أما أن يتخذ الليبراليون قضية محاربة الإرهاب ؛ لِنَسْفِ الدِّينِ ؛ وتدمير العقيدة ؛ فهذا لا يقلُّ خطراً عن الإرهاب ؛ فكلما الاتجاهين يهدم الإسلام بطريقته .

سؤال مهم

أين موقعُ الأوامرِ والنواهيِ من وصيةِ الإمامِ سُحنون لابن القَصَّارِ ؟

والجواب :

تعريف الإيمان عند أهل السنة يوجبُ القيامَ بالأوامرِ ؛ واجتناب النواهي .

فالإيمان عند أهل السنة : اعتقادٌ بالقلب ، ونطقٌ باللسان ، وعملٌ بالجوارح والأركان ؛ يَزِيدُ بالطاعة وينقص بالعصيان .

ومّا يدل على ذلك : قوله ﷺ : " الإيمان بِضَعُ وَسُتُونُ شَعْبَةٌ ؛
أعلاها : شهادةُ أن لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطةُ الأذى عن
الطريق ، والحياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ " . رواه البخاري (٤٨/١) ، ومسلم (٣٥)
والشُّعْبَةُ : الخِصْلَةُ أو الجُزء ، أي الإيمان ذو خصال متعدّدة .
وهذه الشُّعْب تفرع عن أعمال القلب ، وأعمال اللسان ، وأعمال
البدن .

هذا ، ولا يصحّ تفسيرُ الإيمان بالتصديق ؛ فالشرع ليس إخباراً
وحسب ، بل هو إخبار ، وأوامر ، ونواهي ؛ فلا يُكْتَفَى فيه
بمجرد التصديق ، بل لابد من الإقرار .

قال ابن زَمَنِين في " أصول السنة " (٢٠٧) : " والإيمان بالله هو
باللسان والقلب ، وتصديق ذلك بالعمل ، فالقول والعمل
قَرِينَان لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه " ا.هـ .

وقال الحسنُ البصري - رحمه الله - : " ليس الإيمان بالتَّمَنِّي ،
ولا بالتحلّي ، ولكن ما قر في القلب وصدّقه العمل " .

ومعنى كلام الحسن بينه شيخ الإسلام حيث قال : " قوله : " ليس الإيمان بالتمني " يعني : الكلام ، وقوله : " ولا بالتحلي " : يعني أن يصير حلية ظاهرة له ، فيظهره من غير حقيقة من قلبه ، ومعناه : ليس هو ما يَظْهَرُ من القول ، ولا مِنَ الحِلْيَةِ الظاهرة ، ولكن ما وَقَرَّ في القلب وَصَدَّقته الأفعال " ا.هـ .^(١)

وأما الأحاديث الواردة والتي تُفيد بأن من أتى بالشهادتين دَخَلَ الجَنَّةَ ؛ كقوله ﷺ : " ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله إلا حَرَّمه الله على النار " .

فهذا الحديث وأمثاله - يجب أن يُفهمَ في ضَوْءِ نصوصٍ أخرى من القرآن والسنة حيث رتّب فيها دخول الجنة على الأعمال الصالحة ، كقوله تعالى : ﴿ اَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[النحل: ٣٢] .

(١) " مجموع الفتاوى " (٧/٢٩٤) .

وكالآيات والأحاديث التي توعدت قاتل النفس بغير حق " بعذاب النار ؛ وكذلك الأحاديث التي أثبتت عذاب امرأة في هرة حبستها ؛ وعذاب المرأة التي كانت تقوم الليل وتصوم النهار ، وتصدق بالأثوار من الأقط ؛ ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها .

ولذلك لما قيل لوهب بن منبه : أليس مفتاح الجنة : لا إله إلا الله ؟ قال : نعم ، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان ، فمن جاء به بأسنانه فُتِحَ ، وإلا لم يفتح " ^(١) .

وقال الحسن بن عميرة : قيل للحسن : إن ناساً يقولون : من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ، قال : من قال : لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها ، دخل الجنة ^(٢) .

وقد سئل الحافظ عبد الغني المقدسي - رحمه الله - عن حديث : " من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة " هل هو منسوخ ؟ .

(١) رواه البخاري في كتاب : " الجنائز " (٣/١٠٩) .

(٢) " الحجة في بيان المجة " (٢/١٥٢) .

فأجاب : " بل هو مُحَكَّمٌ ثابت ، لكن زيد فيه وضم إليه شروط أخر ، وفرائض فرَضها الله على عباده " (١) .

ووجه هذا الحديث الزُّهْرِيُّ — رحمه الله — بقوله : " إنما كان هذا في أول الإسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي " (٢) .

وقال الأَجْرِيُّ — رحمه الله — في " الشريعة " (٢٤٧/١) : " فإن احتجَّ مُحْتَجٌّ بالأحاديث التي رُوِيَتْ : " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة " قيل له : هذه كانت قبل نزول الفرائض ... وهذا قول علماء المسلمين ، مَن نَفَعَهُم اللهُ تعالى بالعلم ، وكانوا أئمةً يُقْتَدَى بهم ، سوى المرجئة الذين خرجوا عن جملة ما عليه الصحابة ، والتابعون لهم بإحسان ، وقول الأئمة الذين لا يُسْتَوْحَش مِنْ ذِكْرِهِمْ فِي كُلِّ بَلَدٍ " ا.هـ .

(١) " الذليل على طبقات الحنابلة " (٣٣/٢) .

(٢) رواه الترمذي (٢٤/٥) في كتاب : " الإيذان " .

فوائد حول حديث : " لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ " :

قال رسول الله ﷺ : " إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ : خُذْ مَا تَيَسَّرَ ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ ، وَتَجَاوِزْ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوِزُ عَنَّا ، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللَّهُ لَهُ هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غَلَامٌ ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ ، فِإِذَا بَعَثْتُهُ يَتَقَاضَى قَلْتُ لَهُ : خُذْ مَا تَيَسَّرَ ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ ، وَتَجَاوِزْ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوِزُ عَنَّا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ " (١) .

ما معنى قوله ﷺ : " لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ " ؟

الجواب : الخَيْرُ الْمُنْفِيُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَيْسَ الْخَيْرُ كُلُّهُ وَالْعَمَلُ كُلُّهُ ، وَإِنَّمَا بَعْضُهُ ، وَهُوَ كَمَالُهُ الْوَاجِبُ .

قال ابن خزيمة - رحمه الله - : " هذه اللفظة " لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ " (٢) مِنْ الْجِنْسِ الَّذِي يَقُولُ الْعَرَبُ : يَنْفِي الْأِسْمَ عَنِ الشَّيْءِ لِنَقْصِهِ عَنِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ (٣) ، فَمَعْنَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ ، لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ ، لَا عَلَى مَا أَوْجِبَ عَلَيْهِ

(١) صحيح : رواه البخاري ومسلم والنسائي ، واللفظ له .

(٢) كما في لفظ آخر للحديث ؛ وهو يخبر عن موحدنين يخرجون من الجحيم .

(٣) كقوله ﷺ : " لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ " صحيح : رواه أحمد ، وغيره .

وأمر به " ا.هـ. (١)

فيراد بالسيئات بعضها وليس كلها ، فهؤلاء مؤمنون من أعمالهم
الشهادتين ولوازمها وحقوقها ومن أعظمها الصلاة ، ولا يُراد
بالشهادتين مُجَرَّدَتَيْنِ عن حقوقها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (٢): " والحسنة الواحدة
قد يقترن بها من الصّدق واليقين ما يجعلها تُكْفَرُ الكبائر ،
كالحديث الذي في صاحب البطاقة الذي " يُشَرُّ له تِسْعَةٌ
وتسعون سِجِلًّا ، كُلُّ سِجِلٍّ منها مَدَّ البصر ، ويؤتى ببطاقة فيها
كلمة لا إله إلا الله ، فتوضع البطاقة في كِفَّةٍ والسَّجِلَّاتِ في كِفَّةٍ ،
فَتَقُلَّتِ البطاقة ، وطاشتِ السَّجِلَّاتِ " . وذلك لِعِظَمِ ما في قلبه
من الإيمان واليقين ، وإلا فلو كان كُلُّ مَنْ نَطَقَ بهذه الكلمة تُكْفَرُ
خطاياهم لم يدخل النار من أهل الكبائر المؤمنين ، بل والمنافقين أحدٌ ،
وهذا خلافُ ما تَوَاتَرَتْ به الآياتُ والسُّنَنُ ، وكذا حَدِيثُ البَغِيِّ " (٣) .

(١) " مجموع الفتاوى " (٢٨١/١٨) .

(٢) " مختصر الفتاوى المصرية " (٥٧٧) .

(٣) يريد به المرأة البغي التي سَقَتْ كَلْبًا ؛ فَغَفَرَ اللهُ لها .

وأما خروج مَنْ كان في قلبه مثقالُ حَبَّةٍ من إيمان فهذا فيه دليل على ذهاب بعض الإيمان وهو الذي من أجله أدخل النار ، وبقاء بَعْضِهِ وهو الذي من أجله يُخْرَج من النار إلى الجنة ، وهذا فَصْلٌ ما يَبَيِّن أهل السنة وسائر الفِرَق الذين جعلوا الإيمان قطعةً واحدةً إمَّا أن يَبْقَى كُلُّهُ أو يَذْهَبَ كُلُّهُ !

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مُبْطَلًا عقيدة فِرَق الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية ^(١) : " فلم يقولوا بذهاب بَعْضِهِ ، وبقاء بعضه كما قال النبي ﷺ : " يُخْرَج من النار من كان في قلبه مثقالُ حَبَّةٍ من إيمان " .

وقال ^(٢) : " وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال : " يُخْرَج من النَّار مَنْ كان في قلبه مثقالُ حَبَّةٍ من إيمان " فأخبر أنه يَتَبَعَّضُ وَيَبْقَى بَعْضُهُ ، وأن ذاك من الإيمان ، فعلم أن بعض الإيمان يزول ويبقى بعضه " .

(١) شرح حديث جبريل ص ٣٨٣ .

(٢) شرح حديث جبريل ص ٣٩٤ .

ولابن القيم - رحمه الله - كلامٌ نفيس في معنى حديث البطاقة ، حيث قال ^(١) : " التوحيد يتضمن من محبة الله ، والخضوع له ، والذّلّ له ، وكمال الانقياد والأعمال ، والمنع والعطاء ، والحبّ ، والبغض ، ما يحوّل بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي ، والإصرار عليها .

وَمَنْ عَرَفَ هَذَا عَرَفَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ : " إِنْ اللَّهُ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ " وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس ، حتى ظنّها بعضهم منسوخة ، وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي ، واستقرار الشرع ، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار ، وأوّل بعضهم الدخول بالخلود ، وقال : المعنى لا يدخلها خالداً ، ونحو ذلك من التأويلات المُستكرهة .

(١) " مدارج السالكين (١/ ٢٣٠-٢٣٢) .

والشارع - صلوات الله وسلامه عليه - لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط ، فإن هذا خلافُ المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم ، وهم تحت الجاحدين لها في الدركِ الأسفلِ من النار ، فلا بد من قولِ القلبِ ، وقولِ اللسان ، وقولِ القلب : يَتَضَمَّنُ من معرفتها ، والتصديقُ بها ، ومعرفةُ حقيقة ما تضمنته من النَّفْيِ والإثبات ، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله ، المختصة به ، التي يستحيل ثبوتها لغيره ، وقيام هذا المعنى بالقلب : علماً ومعرفةً و يقيناً ، وحالاً ، ما يوجب تحريم قائلها على النار .

وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب ، فإنما هو القول التام كقوله ﷺ : " من قال في يوم : سبحان الله وبحمده مائة مرة ، حُطَّتْ عنه خطاياه - أو عُفِرَتْ ذُنُوبُهُ - ولو كانت مثلَ زَبَدِ البحر " ^(١) ، وليس هذا مرتباً على مجرد قول اللسان .

(١) رواه البخاري ومسلم .

نعم من قالها بلسانه ، غافلاً عن معناها ، مُعْرِضاً عن تَدْبِيرِها ، ولم يُوَاطِئ قلبه لِسَانَه ، ولا عَرَفَ قَدْرَها وحقِيقَتَها راجياً مع ذلك ثوابها ، حُطَّتْ من خطاياها بِحَسَبِ ما في قلبه ، فإن الأعمال لا تَتَفَاضَلُ بِصَوْرِها وَعَدَدِها ، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب ، فتكون صورة العَمَلَيْنِ واحدة ، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض ، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحداً ، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض .

وتأمل حديثَ البطاقةِ التي تُوضَعُ في كِفَّةٍ ، ويقابلها تسعةٌ وتسعون سِجِّلاً ، كُلُّ سِجِّلٍ منها مَدُّ البصرِ ، فَتَثْقُلُ البطاقةُ وَتَطْيِشُ السِّجِّلاتُ ، فلا يُعَذَّبُ .

ومعلوم أن كلَّ مُوحِّدٍ له مثل هذه البطاقة ، وكثيرٌ منهم يدخلُ النَّارَ بذنوبه ، ولكن السِّرُّ الذي ثَقُلَ بِطَاقَةِ ذلك الرجل ، وطاشت لأجله السِّجِّلاتُ : لما لم يحصل لغيره من أربابِ البطاقات ، انْفَرَدَتْ بِطَاقَتِهِ بِالثَّقَلِ وَالرِّزَانَةِ " .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ^(١): "أَوَّلُ الدِّينِ
وآخِرُهُ وَظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ هُوَ التَّوْحِيدُ ، وَإِخْلَاصُ الدِّينِ كُلُّهُ لِلَّهِ هُوَ
تَحْقِيقُ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " .

فإن المسلمين وإن اختلفوا في الإقرار بها ، فهم متفاضلون في
تحقيقها تفاضلاً لا نقدر أن نضبطه ^(٢) .

وبالجملة : فوصية الإمام سُحنون - رحمه الله - لابن القصار -
لَمَنْ فَقَّهَهَا - تَوَجُّبُ الْإِيْمَانِ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ ، وَنَطَقَتْ بِهِ
السُّنَّةُ " الصحيحة " ؛ وأجمع عليه أهل السُّنَّةِ والجماعة ؛ لا
تُعَارِضُ بَرَأْيٍ ؛ وَلَا تُدْفَعُ بِهَوَى كَمَا هُوَ حَالُ أَهْلِ الْكَلَامِ .

قال ابن القيم - رحمه الله - في " شفاء العليل " (٢٥) : " ولم يزل
أهل الكلام الباطل المذموم موكلين بردّ أحاديث رسول الله ﷺ
التي تخالف قواعدهم الباطلة ، وعقائدهم الفاسدة ، كما ردّوا

(١) " مجموع الفتاوى " (١٠/٢٦٤) .

(٢) " شرح اعتقاد أئمة الحديث " للإسماعيلي ، شرح الشيخ حمد العثمان (٣٢٠-٣٢٣) .

أحاديث الرؤية ، وأحاديث علو الله على خلقه ، وأحاديث صفاته القائمة به ، وأحاديث الشفاعة ، وأحاديث نزوله إلى سمائه ، ونزوله للفصل بين عباده ، وأحاديث تكلمه بالوحي كلاماً يسمعه من شاء من خلقه حقيقة ، إلى أمثال ذلك . وكما ردت الخوارج والمعتزلة أحاديث خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة وغيرها ، وكما ردت الرافضة أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ، وكما ردت المعطلة أحاديث الصفات والأفعال الاختيارية ، وكما ردت القدرية المجوسية أحاديث القضاء والقدر السابق ، وكل من أصل أصلاً لم يؤصّلهُ اللهُ ورسولهُ قاده قسراً إلى ردّ السنّة وتحريفها عن مواضعها " ١.هـ .

أخي المسلم :

وبهذا نكون قد انتهينا من التعليق على وصية الإمام سُحنون لابن القصار - رحمه الله تعالى - ؛ وهي - كما قرأت - تضمّ عَشْرَ قواعد من قواعد العقائد ، من صدّق بها ؛ وَفَقَّهَهَا ، وسار على هديها ؛ فَلَيَمَّتْ حَيْثُ شَاءَ ؛ فَالْجَنَّةُ - إن شاء الله - في انتظاره ، أصابه قبل ذلك ما أصابه .

نسأل الله حُسْنَ الختام ، والوفاةَ على السُّنَّةِ والإسلام .

" آمين " . " آمين " . " آمين "

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

كتبه / سعد يوسف محمود أبو عزيز

جمهورية مصر العربية

غميرين - منوف - المنوفية

وكان الفراغ من كتابتها

يوم الإثنين ١٠ من شهر رمضان ١٤٣٨هـ

الموافق ٥ من شهر يونية ٢٠١٧م

الفهرس

- مُقَدِّمَةٌ (٣)
- التعريفُ بالإمامِ سُحُونٌ - صاحبُ الوصِيَّةِ (٥)
- نَصُّ وصِيَّةِ الإمامِ سُحُونٌ لابنِ القَصَّارِ (٦)
- القاعدةُ الأولى : التصديقُ بالرُّسُلِ (٨)
- القاعدةُ الثانيةُ : التَّصديقُ بالبعثِ بعد الموتِ (١٢)
- المنكرون للبعثِ (١٣)
- مناجاةٌ تُكْتَبُ بماءِ الذَّهَبِ (١٤)
- القاعدةُ الثالثةُ : التصديقُ بالحِسابِ (١٥)
- أولُ الأممِ يُقْضَى بينهم (١٦)
- موعظة (١٨)
- المنكرون للحسابِ (١٨)
- والناسُ باعتبارِ الحسابِ يَوْمَ القِيامَةِ أصناف (٢٠)

القاعدةُ الرَّابِعَةُ والخامسة : التصديقُ بِالجَنَّةِ والنَّارِ (٢١)

المخالفون لعقيدة أهل السنة في هذه المسألة (٢٣)

عقيدَةُ ابْنِ عربي في النار (٢٤)

رُدُّ العَلَامَةِ ابنِ المُقَرَّرِ عليه (٢٤)

القاعدة السادسة : الاعتقاد بأن أفضل هذه الأُمَّة أبو بكرٍ ثم عمر (٢٦)

المخالفون لعقيدة أهل السنة في مسألة الصحابة (٢٨)

الهدف من وراء الطعن في الصحابة (٢٩)

القاعدةُ السابعة : الاعتقادُ بأن القرآنَ كَلامُ اللهِ غَيْرَ مخلوق . (٣١)

القائلون بِخَلْقِ القرآن (٣٢)

المنكرون لرؤيةِ اللهِ - تعالى - في الآخرة (٣٧)

القاعدةُ التاسعة : الاعتقادُ بأن اللهُ - تعالى - على العرشِ استوى . (٣٧)

القاعدةُ العاشرة : أَلَّا نَخْرُجَ على الأئمةِ بالسِّيفِ (٣٩)

فوائد حول حديث : " لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطَّ " (٥١)

الفهرس (٥٩)